جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 48 / حزيران 2026

مبدأ الكرامة الإنسانية وأثرها في التشريع الإسلامي

The Principle of Human Dignity and Its Impact on Islamic Legislation

ماهر عبد الرضا عاصي
Maher Abd Ul-Ridha Assi

أ.م.د. أسماء قاسم محمد
Asst. Prof. Dr. Asmaa Qasim Mohammed

أ.م.د. آيات عبد الوهاب عبد الرزاق
Asst. Prof. Dr. Ayat Abdulwahaab AbdAlrazzaq

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
University Of Kerbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: مبدأ، الكرامة، الإنسانية، الأثر، التشريع، الإسلام.

Key words: Principle, Dignity, Humanity, Impact, Legislation, Islam.

الملخص:

تُعَد العبادات الأساسية في الإسلام منظومة قيمية متكاملة تسهم في ترسيخ مبدأ الكرامة الإنسانية، وتعزز أساسه الأخلاقي، مثل الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالصلاة تغرس في الإنسان الشعور بالعزة الروحية وتربي فيه الانضباط الداخلي والمساواة مع الآخرين، والصيام يزكي الإرادة ويحرر الإنسان من سلطان الشهوات وينمّي حس التعاطف والمسؤولية الاجتماعية، بينما تمثل الزكاة تجسيداً عملياً للتكافل والعدالة الاجتماعية بما يحفظ للمحتاج كرامته ويحد من الفوارق المُذِلّة، ويأتي الحج ليعبر عن وحدة البشر وتساويهم أمام الله سبحانه راسماً صورة حضارية للكرامة المشتركة البعيدة عن التمييز الطبقي والعِرقي، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيؤدي دوراً إصلاحياً يحمي المجتمع من الظلم والانحراف ويضمن احترام الحقوق وصيانة القيم الإنسانية العليا، وبهذا تتكامل هذه الفرائض في بناء إنسان كريم على مستوى الروح والسلوك والمجتمع، وتؤسس لبيئة أخلاقية تُنصف الإنسان وتُعلي من مكانته بوصفه محوراً للتكليف الإلهي ومسؤولية العمران.

Abstract:

The fundamental acts of worship in Islam constitute an integrated system of values that contributes to reinforcing the principle of human dignity and strengthening its ethical foundation. These include prayer, fasting, almsgiving (zakat), pilgrimage (hajj), and enjoining good and forbidding evil collectively embody this framework. Prayer instills in the individual a sense of spiritual honor, cultivating inner discipline and equality among people. Fasting refines the human will, liberates the individual from the dominance of desires and nurtures a sense of empathy and social responsibility. Zakat represents a practical manifestation of solidarity and social justice, preserving the dignity of needy and reducing humiliating socio-economic disparities. Pilgrimage express the unity of humankind and there quality before god, offering a civilizational of shared human dignity free from racial and class discrimination. Enjoining good and forbidding evil plays a reformative role by protecting society from injustice and deviation, while insuring respect for rights and the preservation of supreme human values. Together, these religious obligations work in harmony to shape a dignified human being spiritually, behaviorally, and socially, thereby establishing an ethical environment that honors the human person and elevates their status as the central focus of divine responsibility and civilizational development.

المقدمة

يُعد مبدأ الكرامة الإنسانية أحد الركائز الأساس التي يقوم عليها البناء القيمي في الإسلام، إذ ينطلق من النظر الى الإنسان بوصفه مكرّماً لذاته الإنسانية التي منحه الله إياها، كما تشير الى ذلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي أكدت قيمة الإنسان وحقوقه الأساسية، وقد انعكس هذا المبدأ بوضوح على التشريع الإسلامي الذي لم ينشأ الأحكام لمجرد التنظيم الشكلي للحياة، بل جعل غايته الأساس صيانة كرامة الإنسان روحياً وعقلياً وجسدياً واجتماعياً.

ومن ثَمّ جاء التشريع متسقاً مع هذا الأساس عن طريق حماية النفس والعقل والدين والمال والعرض والمجتمع، وضمان العدالة والمساواة، وترسيخ مبادئ الرحمة والتكافل ورفع الظلم، وبهذا يُصبح مبدأ الكرامة الإنسانية إطاراً موجهاً للأحكام الشرعية ومحدداً لغاياتها، بما يعكس رؤية الإسلام للإنسان كقيمة عليا وغاية مقصودة في التشريع.

المبحث الأول: إخلاص الفرد وأثره في المنظومة العبادية

الإخلاص في العمل بصورة عامة من الأمور التي تجعل الفرد موفقاً في فعله السابق وأفعاله اللاحقة؛ لأنه يدل على أن هذا الفرد قد تربى تربية صحيحة، أو على الأقل أنه إنسانٌ حافظ على فطرته السليمة، ومثل هذا النموذج يجلب الخير والنفع لأبناء جلدته، فضلاً عن نفسه، أما بالنسبة للأفعال العبادية فالإخلاص مطلوب لقبول العمل ونيل الثواب، إن العلاقة بين العبادة وتهذيب النفس، وصفاء الروح، والتفعيل للقيم الأخلاقية في حياة الإنسان الواقعية هي علاقة طردية، وانَّ حركة الإنسان العبادية بدافع الإخلاص لله سبحانه لها أثر أقوى وأشدّ، وهذا الأمر ماثل للحس بشكل كبير، فالفرد الذي يؤدي عبادته وهو حاضر القلب، فإنه سَيَحِسُّ بالصفاء والنور في قلبه، والميل لفعل الخير والابتعاد عن الشر، ويجد الخشوع والخضوع الحقيقي والعبودية في روحه تجاه الخالق والبارئ سبحانه، وهذا هو العامل المشترك بين العبادات كلها، وإن كان لكل منها تأثيره الخاص في النفس[1]، وسأتطرق لبعض الأفعال العبادية، وعلاقتها بمبدأ الكرامة الإنسانية.

المطلب الأول: الصلاة: تعد الصلاة من العبادات التي فرضها الله سبحانه وتعالى على عباده؛ لأهميتها ولأنها تعود بالنفع على الفرد على المستويين المادي والمعنوي، فضلاً عن أنه إذا أداها بشرائطها وبالصورة التي ارادها الله سبحانه، وأخلص النية لوجهه الكريم فإنه سيجني خير الدارين. قال تعالى: **(إنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)** (العنكبوت: 45)، وذُكِرَ في معنى الآية أنَّ الإتيان بها فيه لطف للفرد في فعل أو اداء الواجب وترك القبيح، فهي كالذي ينهى قولاً عندما يقول: لا تأتي بالفحشاء ولا بالمنكر، لأنها تشتمل على القراءة، والتسبيح، والتكبير وباقي أصناف العبادة، وكل ذلك يدعو الى سنخه ويطرد عن ضده من الأمور الباطلة، مثل الأمر والنهي بالقول، وكل مؤدى الى المعرفة بالحق[2]، وإذا ترك الإنسان الأفعال السيئة ببركة الصلاة فأنه سيحافظ على الحركات في نفسها، في حين يصفها سبحانه بانها كبيرة إلا على الخاشعين، بينما جُعِلَتْ تلك

الأفعال والأقوال صورة لهذه الصلاة، فتكون وسيلة إيقاظ للغافلين، وتنبيه للذاهلين، ومحرك يحرك الفرد نحو كرامته أمام الآخرين ولا يُنظَر إليه بانتقاص ؛لِأَنَّ الفرد إذا ارتكب الفواحش سيفقد قيمته الإنسانية في المجتمع ويصبح بلا قيمة وهو بذلك سيمتهن كرامته ويهوي الى أسفل سافلين. ويرى آخر أنَّ الصلاة هي ليست هذه الحركات التي يقوم بها المصلي من سجود وركوع وقيام وقراءة، أي هي ليست الأقوال والأفعال التي من السهل أن يقوم بها كل أحد، حتى الصبي المُمَيِز، حيث نشاهد كثيراً ممن يؤدونها ومعتادون عليها مصرين على الفواحش والمنكرات، وفعل السيئات، فلا تكون هناك قيمة لهذا التوجه المراد الذي يملأ القلب بسلطان الله جلّ وعلا وبعظمته، حتى يسهل في سبيل الله الصعب ويتيسر الكرب، ونجد آيات عديدة في القرآن الكريم تأمر بالصلاة لا مطلقاً بل تأمر بإقامة الصلاة، والإقامة تعني الإتيان بها بالوجه الأكمل، وهو أن يتحرك إليها المؤمن بدافع من الشعور بعظمة الخالق جلَّ وعلا، ويأتي بأفعالها بخشوع، فمثل هذه الصلاة هي التي تساعد المكلف على فعل التكاليف وترك الموبقات والنواهي[3]، وإن ذكر الله في هذه الصلاة أكبر كل شيء، وبهذا الذكر تقوى ملكة المراقبة لله سبحانه وتعالى وتترسخ في نفس الفرد في أفعاله وأحواله، فيمتنع عن فعل الموبقات، وتسمو نفسه، وتتم شجاعته، وترتفع همته، ويزداد سخاؤه ونجدته، لذلك قال تعالى: **(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَّزَكى. وَذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ فَصَلّى)** (الأعلى: 14-15)[4]، **فبذلك تزداد عزته وكرامته وإنسانيته ويصبح مثالاً للإنسانية.** ثم إنه قد يورد على استكشاف وحدة الجامع في الصلاة بوحدة الأثر المترتب عليها كالنهي عن الفحشاء بأن الوحدة المستفادة من الأثر المكتوب إنما هي وحدة اعتبارية ليست حقيقية والعنوان الواحد يجوز أن يُنتزع من الحقائق المختلفة وكذلك عنوان الفحشاء فإنه منتزع من أمور متباينة حقيقة وهي الأعمال المنكرة وعليه يجوز أن يؤثر كل جزء من أجزاء الصلاة مثلاً نهياً خاصاً عن منكر خاص يناسبه فتكون الآثار متباينة حقيقة تبعا لتباين المؤثرات وهي أجزاء الصلاة والجواب أنَّ الشارع كما كشف واخبر عن تأثير الصلاة بالنهي عن الفحشاء كذلك اخبر عن تأثيرها في القرب من الله لكل تقي، ولا ريب في ان القرب منه تعالى حقيقة واحدة ذات مراتب متفاوتة فإذا كانت وحدة الأثر تكشف عن وحدة المؤثر كفى في الكشف عن وحدة المؤثر في المقام، وحدة هذا الأثر أعني به القرب منه تعالى وعند التأمل في كلام الشارع المخبر عن آثار الصلاة بمثل قوله الصلاة تنهى عن الفحشاء وقوله الصلاة معراج المؤمن وقوله الصلاة قربان كل تقي... الخ يكشف عن أن المراد بجميع تلك الآثار معنى واحد وهو استكمال النفس في حال الصلاة نحواً من الكمال يوجب انتهائها عن الفحشاء والتقرب به من الله والتعرج به الى المراتب العالية وأمثال ذلك من آثار هذا النحو من كمال النفس "[5]، وهذه الآثار الإيجابية لفعل الصلاة في ترك الفواحش والالتزام بفعل المكارم ما هو إلا تجسيد لمبدأ الكرامة الإنسانية وتأصيل وترسيخ له في حياة المجتمع بصورة عامة، وحياة المؤمنين بصورة خاصة، فضلاً عن أنَّ الصلاة تغرس في هذه النفس الإنسانية فضائل أخرى مثل الكرم والثبات، وهذه من الصفات الكريمة، والخِلال الشريفة، فهذه الصلاة تعطي الفرد سكينة النفس، وتضفي عليه طابعاً خلقياً جميلاً، هذه الصفات تجعل الفرد الذي يقيم الصلاة رضي النفس، حسن الأخلاق، ويكون عنصراً نافعاً في الوسط الذي يعيش فيه، وتنتج منه شريحة حية عاملة ومنتجة تنشر خيرها على المجتمع، فضلاً عن أن صلاة الجماعة تقوّي العلاقات بين الأفراد، وتخلق مجتمعاً مترابطاً، وتنمي شعور الأخوة، فيزداد

الشعور بالمساواة، حيث لا فرق بين عظيم وحقير، ولا غني ولا فقير، اجتمعوا على حب الله وعلى طاعته، فزالتْ بذلك فوارق الدم والثراء واللون والعرق[6].

مِما تقدَّمَ يتبين الآتي:

1- إنَّ الصلاة هي أفعال عبادية يؤديها المكلف لكونها واجبة ومفروضة من الله سبحانه.

2- أنَّ إقامة هذه الصلاة والدوام عليها تضفي على الفرد حالة تمنعها من فعل السيئات والأفعال القبيحة، فتجعل الفرد يسمو عن فعل الموبقات.

3- الإنسان الذي يترفَّع عن فعل السيئات، ويفعل الحسنات، فقد حافظ على كرامته من الهدر، بل زاد من هذه الكرامة، فضلاً عن أَنَّ هذا الأمر هو تأسيس لمبدأ الكرامة الإنسانية.

4- اذا أقلع الإنسان عن الأفعال السيئة وتحلَّى بالفضائل بفعل أثر الصلاة على هذا الفرد، سيكتسب مزيداً من الاحترام، وستكون له قيمة ويكون عزيزا في المجتمع.

المطلب الثاني: الصيام

يعد الصيام من العبادات التي فيها تعب ومشقة ظاهراً؛ لكونها تمنع الإنسان من اللذائذ المادية، وتجعله يعيش حالة من الصراع النفسي بينه وبين شهواته التي تلحُّ عليه في إشباعها كشهوة البطن والفرج، بعد أن كان معتاداً على ذلك، فضلاً عن الإرهاق الجسدي ولاسيَّما إذا كان الفرد يمارس عملاً شاقاً، لكن الذي يهوّن الأمر هو أنه طاعة لله جلّ وعلا، يثيب الصائم الثواب الجزيل، فضلاً عن الآثار الإيجابية الدنيوية. قال تعالى: **(يا أيُها الذينَ آمنوا كُتبَ عَليكُمُ الصِيامَ كَما كُتبَ على الذينَ مِنْ قَبْلِكُم لَعَلَكُم تَتَّقون)** (البقرة:183)، وهذا الخطاب خاص بالمؤمنين شرَّفهم الله سبحانه بذلك رغم أنَّ الحكم عام، عنايةً بهم وإكراماً لهم، وإشارة الى قدسية هذه العبادة، فلا تتحقق السعادة بها إلا بالإتيان بها من قبل المؤمن الصادق، فضلاً عن لفت النظر الى شرط الإيمان في صحتها، وبث الرغبة والحث على تقبلها والإقبال عليها، وان الهدف الذي أشارت اليه الآية الكريمة ما ترتاح له نفس العارفين، ويزيدها إيماناً بأنَّ هذه العبادة هي من العبادات الشريفة للغايةً، وتأتي بالنفع، وشرف الغاية يدلُّ على شرف العمل، وهذا الأسلوب الرائع في طلب فعل هذا العمل دليل على أنَّ الصيام درع واقية من مساوئ وأضرار الدنيا والآخرة، وهو من الرياضات العالية والدروس العملية يمد ارادة الفرد بالقوة والنشاط فتزيد من الكرامة، فتروض الشهوات وتقيد بقيود من حديد، ويُحَدُّ من سطوتها وتأثيرها الكبير على الفرد بحيث لو تُركِتْ لَأردته إلى أسفل سافلين، وتحط من كرامته الإنسانية إلى درجة متدنية جداً، وتقتل فيه الطموح الى الدرجات العليّة والعز، وتهبط به الى فناء الذُل، وهذه الشهوات هي القادح الأول لجميع أنواع الفساد، والمحرك لها، فإذا لم تُقيد وتُهَذَب بترويضها والمراقبة لها، لكي تُقهَر سلطة الإرادة الإنسانية والعقل الناصح، وستشتعل ناراً وتتطاير شراراً فيكبر ضررها، وأفضل ما يقيدها هو الصيام فيرد النفس الميالة زجراً ويعيدها قسراً، فإذا وجدت العزم في الصرامة تصاغرت وانقادت طائعة، وأصبحت مطيعة والنفس على ما عوَّدتها عليه، فإذا تعودت على طاعة الإرادة ثبتت

قدماً وارتاحت النفس، وساربتْ لما خُلقتْ له، فضلاً عن أنها ثِمارٌ طيبة وغاية كريمة لفضيلة الصيام، ومن ثماره أيضاً التدرب على الصبر لكي يكون ملكة ثابتة في النفس تتزود منها الثبات وتستمد منها القوة، وتصبح لها جُنَة واقية من صدمات ونكبات الأيام، والصبر وسيلة للعز وجناح الفوز والنجاح[5]، لذا ورد " عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال:**أَوحى اللهُ عزّ وَجَلَّ إلى مُوسَى (عَليّهِ السَلام): ما يَمْنَعُكَ مِنْ مُناجاتِي ؟ فَقالَ: يا رَبِّ، أُجِلُّكَ عَنْ المُناجاةِ لِخُلوفِ[6] فَمِ الصائِمْ، فَأَوحى اللهُ عزّ وجل إليهِ: يا مُوسى، لَخلوفِ فَمِ الصائِمِ أَطْيَبُ عِندي مِنْ رِيحِ المِسْكِ**"[7]، نلاحظ من هذه الرواية الشريفة الكرامة التي حظي بها الصائمون بل وزيادة بالكرامة. وقالت الآية (لَعَلَكُم تَتَّقون) فهذا سبب لتشريع الصيام وبيان غايته الكبرى وحكمته العليا، وهو إعداد للنفس كي تتقي الله جلّ وعلا، وذلك عن طريق الامتناع عن الشهوات التي كانت مباحة تطبيقاً لِأمر الله سبحانه ورغبة في ثوابه، فتنمو بذلك ملكة ترك الذنوب المتعلقة بالشهوات المحرمة، ويقوى الصبر عنها، فيكون تجنبها أسهل، وتزداد قوة الاستجابة للطاعات، والصبر عليها فتسهل عملية الثبات على هذه الطاعات، والحرف المشبه بالفعل (لعلَّ) ذُكِرَ ليدلَّ على الترجي، فالرجاء يحصل إذا تحقَّقت مقدِّمَاتُهُ، وهو للأشخاص المخاطبين، وهذه المَلَكَة في التقوى تحصل لمن تكون نية صيامه قربة إلى الله، وانما شُرع الصيام في الإسلام لتربية النفس وتزكيتها، وإعدادها وتهيئتها للتقوى، ويظهر ذلك من وجوه عدَّة فأفضلها شرفاً، وأعلاها شأناً، وأعظمها أثراً، أَنَّ الصائم نفسه لا يكون رقيباً عليه إلا الله سبحانه، ولا يشرف على هذا السر غيره سبحانه، فيترك الشهوات والملَذَّات المباحة له في سائر الأوقات امتثالاً لأمر ربه وخضوعا لإرشادِ دينه[8]، وأن الآية الشريفة بيَّنَت أنَّ أداء فريضة الصوم يُنتج التقوى لِأنَّه يكسر الأهواء و يردع الشهوات ويقمع الشر والفواحش، ويهوّن اللذائذ الدنيوية وخصوصاً شهوة البطن والفرْج، فمَنْ أدمنَ الصوم هان عليه هذان الأمران، وخفَّت المؤونة، فصار الصيام حاجزاً ومانعاً عن فعل الموبقات والسيئات فضلاً عن أن الرياسة تهون عليه، وهذا يجعل الإنسان أقرب الى التقوى، فيأتي معنى الآية الشريفة فرضتُ عليكم الصيام لأجعلكم من المتقين، وهذا حُسْنٌ من اللطيف الخبير بقوله (لَعَلَكُم تَتَّقون) بجعل الصيام واجباً لكي يكبح جماح النفس عن المعصية، وكذلك تقوى قابلية الفرد على التقوى، وكلما كانت رغبة النفس في شيءٍ أكثر كان تركه صعباً عليها وأكثر مشقة، فإذا أصبح ترك الشهوات الصعبة هيناً صار ترك الأقل منها أسهل وأخف على النفس[9]، وأَنَّ الغاية والحكمة من وجوب الصوم هي أن يمتنع الإنسان عن مطعمه ومشربه بإرادته، وهو بإمكانه ذلك و أن يسيطر الصائم على نفسه برادع يمنعه من استغلال الآخرين، والتجاوز على ممتلكاتهم من طعام وشراب، وأن يدرك بشكل عملي أنَّ السماح لأهوائه وأنانيَّته بذلك سيجعل مقدرات الآخرين تحت تصرفه بقدرته على الاحتكار، والتحكم في السوق، وبخبرته بالغش، فإنَّ في ذلك خطورة كبيرة على المجتمع وعليه، والنتيجة أن يوطن الصائم نفسه على نكران ذاته وكبح جماح شهواته، ليكون إنساناً صالحاً، إنَّ الشارع أمر بالصوم ليتحدى الجوع والعطش وليس رغبة فيهما، بل هو تحدٍّ للملذات التي تجبر الناس على الجوع والعطش، وتحدد من جشع النفس وتقيدها، وأَنَّ البعض ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، لِأنَّ صيامه لم يقيد طمعه، ولم يدفعه الى أن يحترم، وأن يؤمن بحق الإنسان، والمفروض أن الصوم يحرر المرء من حب السيطرة وعبودية الأهواء والأنانية، وأن يصل المجتمع الى مستوى أرقى وأبقى[10].

مما تقدم يتبين التالي:

1- إنَّ الصيام واجب مفروض ليقيد شهوات وملذات النفس المحلَّلَة فضلاً عن المحرمة، لكي تبقى تحت تصرف الإنسان بحدود وقيود على المسار الصحيح، وهذا تأسيس لمبدأ الكرامة الإنسانية.

2- إنَّ ترك الإنسان للشهوات والملذَّات والتزامه بالعبادات وبخاصَّةٍ فريضة الصيام ستضيف له كرامة فوق الكرامة التي أفاضها الله سبحانه وتعالى عليه، وسيكون محترماً في المجتمع.

3- بما أَنَّ الصيام يكبح شهوات النفس فإنَّهُ سيكون وسيلة وطريقاً لتزكية النفس، وتحليها بالفضائل، فتكون أقرب للتقوى، بل تجعل الفرد في مصاف المتقين، وهذه كرامة للإنسان ما بعدها كرامة.

4- الصيام بتشريعه وتطبيقه يُعَدُّ من العبادات التي تحافظ على مبدأ الكرامة الإنسانية، من خلال تربية الأفراد التربية الصحيحة، بترك الموبقات وفعل الحسنات التي تنتهي الى الرحمة بالعباد واللطف بهم.

المطلب الثالث: الزكاة:

الزكاة من فروع الدين المهمة التي فرضها الشارع المقدس، وهي من التشريعات التي لها علاقة مباشرة بالأموال والأملاك التي لها قيمة مالية، وهي مهمة جداً لأن المال هو العصب الرئيس الذي يعتمد عليه الإنسان لتوفير متطلبات الحياة من مأكل وملبس فضلاً عن باقي المستلزمات الضرورية. قال تعالى: **(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)** (البقرة: 43)، إنَّ إخراج الزكاة من الأموال وغيرها فُرِضَتْها الشريعة الاسلامية، وصرحت بها كثيرٌ من الآيات الشريفة، وإنَّ عدم إخراجها يُعَدُّ من الكبائر التي توجب سخط الرحمن، لذلك نجد دائماً أَنَّ ذكر الزكاة مقترن بذكر الصلاة، وما ذلك إلا لأهميتها وتأثيرها في حياة الفرد، ويُعَد منع الزكاة من الأمور المنكرة، ورد على الحق تبارك وتعالى، ويوضع تارك الزكاة مع تارك الصلاة وتارك الحج بمنزلة الكفر، كما ورد عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أئمة الهدى ومعدن العلم، حيث ورد عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: " **مَنْ منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله عزّ وجَلّ: (قالَ ربِّ ارجعونِ لعلّي أعملُ صالحاً فيما تَرَكتُ)**"[11]، وقد ذكرت الروايات أَنَّ المجتمع الإسلامي إذا التزم بدفع الزكاة فإنَّ ذلك يؤدي الى الرفاه الاقتصادي في المجتمع الإنساني، فضلاً عن أنه يساهم بشكل مباشر في القضاء على الفقر، والتمايز الطبقي بين أبناء المجتمع، والذي ينتج عن الظلم في توزيع الثروات في المجتمع، وان إخراج الزكاة ومنحها الى مستحقيها يُعَدُّ من العدالة الإجتماعية في الشرع الإسلامي، لذا ورد عن السيدة الزهراء (عليها السلام) أنها قالت: " **فجعل الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكِبَر، والزكاة تزكيةً للنفس**"[12]، وورد أيضاً عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال "قيل لأبي عبدالله (عليه السلام): **لأي شيءٍ جعل الله الزكاة خمسةً وعشرينَ في كلِّ الفٍ ولم يجعلها ثلاثين؟ فقال: إنَّ الله عزّ وجلّ جعلها خمسةً وعشرينَ أخرجَ منْ أموالِ الأغنياءِ بِقَدَرِ ما يكتفي بهِ الفقراءُ ولو أخرجَ الناسُ زكاةَ أموالهمْ ما أحتاجَ أحدٌ**"[13]...[14]، كذلك إنَّ الزكاة يُعَدُّ فيها نوع من الاحترام والتقدير للمعوزين، فتعمل على روح الأغنياء والمترفين مادياً فتقوم بإزالة التكبر والغرور فيها واللذان يفضيان الى البغي والظلم[15]، كما أن الفلسفة التي تقوم عليها الزكاة هو التكافل الاجتماعي الذي وضعه الشرع المقدس في

مقام القمة في المجتمع المسلم، فالإنسان يكون مسؤولاً عن الآخر مسؤولية لا نرى لها مثيل في أي دين أو مذهب، وهذه المسؤولية مادية فضلاً عن أنها معنوية، حيث الشخص المسلم لا يمكنه تركها، فنجد أنها واجبة في الأموال والثروات الأساسية كالفضة والذهب، والأنعام الثلاث، والغلات الأربع إنَّ الزكاة هي الرصيد المالي الذي يتكفل بإعالة العاطلين والمحتاجين من المسلمين، والثروة التي تكون وسيلة لمساعدة اليتامى والمرضى والعاجزين، فإنها تقضي على الفقر والحرمان، قال الشيخ كاشف الغطاء عليه الرحمة حول الزكاة: " وليست فوائد هذا التشريع مقصورة على الناحية المادية بل فيها من الفوائد الاجتماعية والتأليف بين الطبقات، وتعاطف الناس بعضهم على بعض، وقطع دابر الفساد والشغب فيما بينهم ما هو أوسع وأجل وأجمع فإن فيه غرس بذور المحبة بين الفقير والغني، فالغني يدفع وينفع الفقير باليسير من ماله عن طيب خاطره أداء لواجبه ورغبة بطلب المثوبة من ربه، والفقير يأخذها من غير مهانة ولا ذلة لأنه أخذ الحق الواجب له من مالكه وخالقه "[16]، ويمكن ملاحظة في الزكاة الأمور التالية[17]:

1- يجب صرف الزكاة لشرائح معينة، وهم المساكين والفقراء، وهم في المقدمة، بعد ذلك العاملين عليها وفي جبايتها الذين لا يتمكنون من سداد ديونهم، ثم العبيد لغرض عتقهم، والمسافرين المنقطعين في أرض الغربة، والمؤلفة قلوبهم على الإسلام، وفي سبيل الله أي المصلحة العامة مثل بناء المساجد والمدارس وغيرها، وقد أشارتْ الآيات الكريمة لذلك في قوله تعالى: (**إنما الصدقاتُ للفُقَراءِ والمساكينَ والعاملينَ عَليها، والمؤلفةِ قُلوبِهم وفي الرِقابِ والغارمينَ وفي سَبيلِ اللهِ وابن السبيلِ**) (التوبة:60).

2- هي ليست منةٌ من أحد ولا تفضلاً، بل هي حق شرعي واجتماعي، تتكفل الحكومة بأخذها، وتجبر الممتنع على إخراجها.

3- الزكاة في كل بلد تُصرَف فيه، واخراجها من ذلك البلد لا يجوز، فإذا زاد منها شيء يوضع في بيت المال، ليتم إنفاقها على سائر أبناء المدن في الوطن الإسلامي.

4- إنَّ الفقهاء أجمعوا بمختلف مذاهبهم على أنه لا يجوز إلجاء المحتاج والغارم على بيع ممتلكاته ليوفر ثمن عيشه، أو ليسدد ما في ذمته من ديون، فإنَّ ذلك يضره بشكل أكبر من الدين أو الفقر.

وقد ذُكِرَ وجوهاً من المصالح والفوائد لمُخرِج الزكاة من ماله، تعود عليه بالنفع المادي والمعنوي في حياته وبعد مماته أي في الدنيا والآخرة، وهي[18]:

1- تعد الزكاة علاجاً ناجعاً وناجحاً لِشفاء القلب من حب الدنيا، والتقليل من حب المال والميل اليه، وكبح ركون النفس اليه، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة بقوله تعالى: (**خُذْ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم**) (التوبة 103)، أي تقوم بتطهيرهم وتزكيتهم عن الإكثار من طلب الدنيا.

2- التقليل من اللذائذ الدنيوية، وجعل طريق العبودية لله هو الهدف ونيل رضوانه، من خلال الانفاق في سبيله.

3- كبح جماح طغيان المال، وقساوة القلب، قال تعالى: (**إنَّ الإنسانَ لَيطغى أَنْ رآهُ استغنى**) (العلق: 6 – 7)، ففرض الزكاة يحد من الطغيان، ويعيد توجيه القلب الى رضا الرحمن.

4- هي نوع من أنواع تزكية النفس وتربيتها من خلال الشعور بألم الآخرين، ومد يد العون لهم، وتوفير سبل الخير لهم، ومعالجة أمراضهم.

5- زرع المحبة في نفوس الفقراء للأغنياء، لِأن الإنفاق يجلب حبهم، كما ورد عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: " **جُبِلتْ القلوبُ على حبِ منْ أحسن إليها، وبُغض مَنْ أَساءَ اليها** "[19]، فإذا أحبوهم قاموا بالدعاء لهم بالخير، فيكونون سبباً لبقاء واستمرار النعمة، كما في قوله تعالى: **(وأما ما يَنفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرض)** (الرعد: 17).

6- تقوم بنقل الإنسان من رتبة الاستغناء بالشيء الى رتبة أعلى وهي الاستغناء عن الشيء، الرتبة الأولى صفة الخلق، والثانية صفة الحق.

7- إنَّ إخراج هذا المال وإنفاقه في وجوه الخير والبر والصالح العام يؤدي الى المدح والثناء ودوامه في هذه الحياة، والأجر الجزيل في الآخرة، فيكون ذلك سبباً لطلب هذا الأجر في القبر والقيامة، وهذا أفضل من زوال المال، لأنه زائل على كل حال.

8- إنَّ إنفاق المال يُعَدُّ تشبهاً بالأنبياء والملائكة، ومنعه يُعَدُّ تشبهاً بالبخلاء وهذا مذموم، إذن فإن الانفاق أفضل من الامساك.

9- إنَّ الانفاق من الرحمة ووجوه الخير لهي من صفات الحق جلّ وعلا، وهذا الفعل هو من التخلق بأخلاق الله سبحانه.

10- إنَّ إخراج حق الفقراء من الأموال وإيصاله لمستحقيه يحقق السعادة للمجتمع، مثلما أنَّ الايمان يضفي السعادة الروحية، والصلاة تُضفي السعادة البدنية.

11- إنَّ إنفاق الزكاة هو شكر للمنعم، وشكر للنعمة وهي صرف الأموال في سبيل رضا المنعم.

12- إنَّ وجوب الزكاة يؤدي الى حصول الترابط وزيادة الأواصر بين أبناء المجتمع، وحصول المحبة والمودة بينهم، ويؤدي الى ذهاب الحسد والغل والحقد.

وبالنسبة لمستحقي الزكاة فهناك فوائد عديدة لمن يتسلّمها يمكن إجمالها بما يلي[20]:

1- سد حاجة المحتاج، ودفع الخلة، مع مراعاة صاحب المال الذي اكتسبه وحبه للمال وتعَلُّقه به، لكنه رغم ذلك يُخرج الزائد عن حاجته، فيبقي له الشرع الكثير ويأخذ منه القليل.

2- الأموال وُجِدَتْ كوسيلة لقضاء الحاجات وليس للادخار، فيجب عدم الابقاء على المتبقي من المال الزائد عن الحاجة، وانفاقه على مستحقيه.

3- كل ما موجود من مال هو لله سبحانه، والفقراء هم عيال الله، و الأغنياء وكلاء عن الله في ماله، فيجب أن يكون هناك تكاتف وتعاطف بين الوكلاء والعيال، وتطبيق اوامر الله جلّتْ قدرته بإعطائهم حقهم لكونهم عياله سبحانه.

4- الرحمة والحكمة يوجبان بالوجوب الأخلاقي وبمقتضى العرف الاجتماعي، أن ينفق الغني القليل من المال الخارج عن حاجته الى الفقراء العاجزين المحتاجين، وهذا من معاني التكافل الاجتماعي.

5- هي نوع من أنواع جَبْر النقص الحاصل عند المستحق، ويمكن للمال أن يعوض مال الزكاة الذي أنفقه بالتجارة مثلاً أو أي عمل آخر.

6- إنَّ الزكاة تقلل من حدوث الجرائم في المجتمع ونسبة الأشخاص السيئين، ففي حالة عدم إخراجها قد يلجأ البعض الى السرقة وغيرها من الأفعال السيئة لسد حاجته.

7- تقوم الزكاة بمساعدة الطرفين على أن يتحليان بصفتي الصبر والشكر معاً، فإن أخرجها الغني كان شاكراً، وصبر على مقدار النقص الحاصل عنده، وعند إعطاء الفقير الزكاة أمسى شاكراً، بعد أن كان صابراً.

8- إنَّ الفقير يكون مُنْعِماً على الغني عندما يأخذ الزكاة منه، لِأنه بفعله هذا رفع عن الغني الذم والعار، وخلَّصَه من عذاب جهنم.

ممَّا تقدم نخلص الى ما يلي:

1- إنَّ إعطاء الزكاة الى مستحقيها هو نوع من التكافل الاجتماعي يخلق توازناً مالياً بين أفراد المجتمع، ويحفظ كرامة الإنسان الفقير، وتساعده على مواجهة المصاعب.

2- هي نوع من التربية الروحية الأخلاقية للفرد الذي يُخرج الزكاة، حيث تقضي على الطمع، وتكبح جماح شهوات نفسه، ولاسِيَّما مسألة حب المال والشهوات، وهذه المسألة تدفعه نحو إنسانيته، وتبعده عن الصفات الحيوانية، وهذا تكريم من الخالق جلّ وعلا لهذا الإنسان، وحفظ لكرامته.

3- إنَّ وجوب هذه الفريضة، ونشر ثقافتها في المجتمع، تخلق حالة من التعاطف والتراحم، والترابط الوثيق، بين أبناء المجتمع، وهذا تأصيل وتثبيت لمبدأ الكرامة الإنسانية.

4- إنَّ الفرد الذي يقوم بمساعدة الآخرين دون مقابل، يحظى بالاحترام والتقدير، وتكون له قيمة بين أبناء المجتمع، وبخاصَّةٍ إذا كانت هذه المساعدة مالية، وهذا أيضا تكريم لهذا الإنسان، وزيادة له في كرامته، فضلاً عن الكرامة التي حباه الخالق بها، وتأسيس لمبدئها.

المبحث الثاني: المطلب الأول: الحج

يُعَدُّ الحج من الشعائر التي تؤدى في زمان مخصوص ومكان معين، وهو من العبادات الاجتماعية التي تؤدَّى بشكل جماعي، يجتمع فيه الناس من مختلف البلدان، لا تمنعهم اللغات ولا الجنس ولا العرق ولا المناصب من أداء هذه الفريضة الجليلة، والتي تتجسد فيها كل معاني التكاتف والتآزر، والمساواة بين جميع طبقات المجتمع الإنساني.

قال تعالى في كتابه الكريم: **(وأَذِّن في النَّاسِ بالحَجِّ يأتُوكَ رِجالاً وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأتينَ مِن كلِّ فَجٍّ عَميقٍ)** (الحج: 27)، وهو من العبادات العظيمة والتي يمكن أن تعود على المجتمع الإسلامي بالمنافع المختلفة، فضلاً عن ترسيخ العلاقة بين العبد وربه، حيث إنَّ هذه العبادة تبدأ بنوع من التجرد، حيث أن الجميع يرتدون قطعتين من القماش ليعلن أنَّ الجميع متساوون عند الله جلّ وعلا، وهذا يُعَدُّ من الأحلام العظيمة للإنسانية أن تشهد يوماً

تزول فيه جميع الفوارق الطبقية، وعوامل المفاضلة الوهمية كاللون والثروة وغيرها، ويسود البشرية العدل والإنصاف امامه سبحانه، فهذا الفرض يدفع المؤمنين الى ترك جميع التمايزات الاجتماعية وينمي فيهم شعور أنها ليست وسيلة للتفاضل، إنَّ هذا التجمع الكبير الذي يُشَكِّلُ أعضاؤه غالبية أو كل الدول الإسلامية، يُعَدُّ مؤتمراً لجميع مسلمي العالم يقام على هذه الأرض المقدسة، ويُعَدُّون ممثلين عن هذه الشعوب[21]، فضلاً عن أَنَّ فيه الكثير من المنافع المادية التي يشاهدها الناس بأعينهم وكذلك المعنوية والكثير من البركات، وغيرها من الفوائد سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو الأخلاقي، فكم هي عبارة جميلة أن يجعلهم القادر سبحانه شهوداً على المنافع التي اكتسبوها بل ونَبَّأَهم بها[22]، ونجد في الحج أن جميع المظاهر وإن كانت مميزة فإنها تتساقط، مثلاً الملابس التي تُعَدُّ من المسائل التي يتفاخر بها الإنسان، نجد الحجاج يرتدون قطعتين من القماش متماثلتين وهي ملابس الإحرام، فتسقط كل المظاهر الزينة والترف، لِأَنَّها محرمة حال الإحرام، وكذلك نجد أنَّ الإنسان يعيش حالة من الروحانية والصفاء، فتكون النفوس ممتلئة إيماناً، والدعاء ينبع من أعماق الإنسان[23].

والحج هو معراج للروح الإنسانية، وإزالة لجميع الفوارق الطبقية، ويُعّدُّ محركاً لمشاعر الوحدة بين المسلمين التي تستند على المبادىء العالية، فضلاً عن أنه يحرّك الجانب الاقتصادي بشكل كبير، وهو أشبه بالمؤتمرات الحضارية الكبيرة التي تجمع الكثير من أبناء المجتمعات الإسلامية، مِمَّا يؤدي الى حكم أخرى ومنها التعارف الذي جعله الله سبحانه من أهداف وغايات خلق البشرية، كما جاء في قوله تعالى: **(يا أيها الناس إنّا خَلَقناكم من ذَكَرٍ وأُنثى وجَعلناكُم و جَعَلناكُم شُعُوباً وقَبائِلَ لِتعارَفوا إنَّ أَكرَمَكُم عندَ اللهِ أَتقاكُم)** (الحجرات: 13). ومعنى التعارف هو أن يتَعَرّف الإنسان على الآخر، وهذا من الأمور الحضارية في المجتمع، والتعارف يكون نتيجةً للحضور في هذا الموسم، وهذا الحضور تارةً يكون مادياً وتارةً يكون معنوياً، أي حضور للأرواح والإرادات يبين التطور والتقدم الذي أحرزه الفرد، الذي يكون جنباً الى جنب مع أخيه الإنسان معنوياً وروحياً، معترفاً بوجوده وحقوقه مبدئياً، وهذا الإحساس يجعل التعاون حاضراً بينهم، وهذا التعاون سيؤدي الى التكامل، وكلما كان الحضور أكثر فانَّ الحضارة ستنمو وتنضج بشكل أكبر، وتكون محدودة بحدود التعاون بينهم، فضلاً عن أنه يمكن التطور حضارياً أيضا وإن كانت الأفراد متباعدة إذا كان لديهم الوعي الحضاري المتبادل، وإدراك الإنسان أنَّ عليه التعاون مع الآخرين فإن ذلك بداية التطور الحضاري، وهذا يتجسَّد بشكل جلي في حج بيت الله الحرام، بحضور الناس من مختلف الأقطار الاسلامية ومن جميع طبقات المجتمعات، متجرِّدِيْنَ عن الفوارق كالتفاخر بالحَسَبِ والنسب، والجدل، والعمل، وسائر القضايا الترفيهية، فهذه كلها تنتهي في هذا الموسم العبادي، وكما قال تعالى: **(الحجُّ أَشهرٌ مَعلوماتٍ فَمَنْ فَرَضَ فيهنَّ الحَجَّ فلا رَفَثَ ولا فُسوقَ ولا جِدالَ في الحَجِ)** (البقرة: 197)، فهذه القضايا محرمة لأنَّ الجدال يفرق بين الفرد وأخيه، وتخلق التمايز بينهم، إذن فالحج هو الذي تذوب فيه جميع الحدود المصطنعة، والفوارق الاجتماعِيَّة، والسبيل الى ذلك هو التعارف، فهو الحكمة والغاية والعلة من خلق البشرية وما أحوجنا الى ذلك، فنحن نشعر بآلام مَنْ نعرفهم ونحزن إذا ما اصابهم مكروه، ولكن مع الذين لا نعرفهم ربما لا يكون هناك نفس الشعور، فإنَّ أداء هذه الفريضة يكون نتيجته طهارة النفس من الرواسب والنفايات التي لوثت الفطرة السليمة، لكي يصل الإنسان الى مرحلة الطهارة والتزكية والنقاء، وشكر الرزاق جلّ وعلا على

هذه النعمة التي وهبها لعباده، لكي تكون هذه الفريضة حافز لدفعه الى الرحمة بالفقير والعطف عليه، وتقديم يد العون له، لكي تكون الوحدة والتكاتف هي السائدة بين المجتمعات الإسلامية، ويكونوا كالجسد الواحد، أو كالبناء المنيع ليشاركوا في ازدهار الحضارة الإسلامية، وفي هذا تجسيد لعزة الإنسان وكرامته، لا بل التأكيد على هذا المبدأ بحيث يكون هو الأساس الذي تستند عليه التشريعات الإسلامية، ومن منافع هذه الفريضة:

1- الشعور بالشخصية والوجود: فإن الخالق سبحانه وهب الإنسان عقلاً يستطيع التفكير، لكن نجد أَنَّ كثيراً من الناس لا يحكّم فكره، فإذا أردنا تحشيدهم لعمل ما، فإنهم لا يشعرون بوجودهم، ولكن عندما يرون أنَّ أمة الاسلام مجتمعة في الحج، فسيكون ذلك واقعاً ماثلاً أمامهم يُشعرهم بوجودهم.

2- إيجاد حِراك فكري: والتجمع البشري الضخم القادم لِأداء هذه الفريضة يُحدث حِراكاً فكرياً، وهذا الذي تحثُّ عليه الأحاديث الشريفة، القائلة: " **أعقل الناس مَنْ جمع عقول الناس الى عقله** " و "**مَنْ شاور الرجال شاركها في عقولها** " و" **أعلم الناس مَنْ جمع علوم الناس الى علمه**"[24]، فإذا دارت النقاشات والبحوث العلمية في هذا التجمع الكبير حول قضايا المجتمعات، ولاسيَّما القادة الإسلاميون الذين يحضرون لتعليم الناس وارشادهم وتوجيههم نحو الخير والصلاح، فضلاً عن أنَّ هذه الحوارات الفكرية ستساهم في تكوين روابط فكرية تقدم للأمة الكثير من الحلول لحل مشاكلهم.

3- البناء الروحي: إنَّ البشرية المحتشدة تعطي دفعا معنويا كبيراً وراحة روحيَّة، يهبها لكل حاج تمكن من الاستفادة من أحكام الحج، فعندما يرى الفرد المسلم بأن جميع المسلمين غارقين في العبادة، فإنّه يتحرك ذاتياً نحوها، فالعبادة الجماعية تكون أبلغ أثراً في النفس من جميع الجهات.

4- الحِراك الحضاري: إنَّ الفروقات الطبقية كالقومية والعرق وغيرها تتلاشى وتسقط في الحج، لتعطي للحاج درساً عملياً وحقيقياً في التوحد والتكاتف بين أبناء الأمة الاسلامية، فتذوب كل الأنفس والطاقات في بؤرة التوحيد، ويجب على أبناء الاسلام أن يفعلوا هذه الفوائد في الواقع العملي، حتى لا تكون لجماعة معينة، وذلك يتم باللقاء بالوفود القادمة من الديار المقدسة ليستطلعوا أحوال الأمم الاسلامية[25].

مما تقدم أود أَنْ أبيّنَ ما يأتي:

1- إن فريضة الحج تأسس لمبدأ الكرامة الانسانية، بل ترسخها عملياً من خلال المناسك التي يتساوى فيها الجميع بالملبس والمأكل، ولا يوجد تمايز طبقي بالعِرْقِ أو اللون أو المنصب، فالكل سواء.

2- إن الذي يؤدي هذه الفريضة يكتسب كثيراً من المنافع والفوائد، سواء في ذلك المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وهذه المستويات هي من وسائل حفظ الكرامة الانسانية، بل ترسيخ لها.

3- إنهُ يربي الإنسان روحياً، ويزكي النفس، لكون الإنسان يعيش حالة عبادية، تنقله من عالم المادة الى عالم المعنويات.

4- يخلق جواً من الوحدة والتكاتف بين أبناء الأمة الاسلامية، ويضفي شعوراً بالقوة والمنعة، كون المسلمين تجمعوا كلهم لِأداء عبادة موحدة بمناسكها.

5- هو وسيلة للتعارف بين أبناء الأمة الاسلامية، وتلاقح للأفكار والتطور الفكري الحضاري، وهذا يزيد من كرامة الإنسان، لأن تطور العلوم والفكر هو كرامة ما بعدها كرامة.

6- تقوية الأواصر والعلاقات بين أبناء المجتمعات الإسلامية، بعد تعارفهم أثناء أداء المناسك، وهذا أيضاً زيادة في الكرامة الإنسانيَّة.

المطلب الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هذه الفريضة من الفرائض المهمة؛ لأنه يُقَوَّمُ انحراف الفرد والمجتمع، ويتم من خلالها التذكير بنعم الله، والحث على تطبيق شرائع الله سبحانه، ونهي الآخرين عن الفعل والقول السيء، وهي واجبة كوجوب الصلاة والصيام لأنها من فروع الدين.

وتم تشريع هذه الفريضة الكبيرة في القرآن الكريم في نصوص عديدة تدل على وجوبها على جميع المسلمين بشكل كفائي[26]، قال تعالى: **(ولِتكُنْ مِنكمْ أمةٌ يدعونَ الى الخيرِ ويأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عنِ المنكرِ، أولئكَ همُ المفلحونَ)** (آل عمران: 104)، وكذلك في السنة النبوية المطهرة حيث ورد عن الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: " **كَيفَ بِكُمْ إِذَا فَسَدتْ نِسَاؤُكُمْ، وَفَسَقَ شَبَابُكُمْ وَلَمْ تَأمُرُوا بِالْمَعرُوفِ، وَلَمْ تَنْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ ؟ فَقِيلَ لَهُ: وَيَكونَ ذلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: نَعَمْ وَشَرٌ مِنْ ذلِكَ، كَيفَ بِكُمْ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالْمُنْكَرِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ ؟ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَيَكونُ ذلِكَ ؟ قالَ: نَعَمْ وَشَرٌ مِنْ ذلِكَ، كَيفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَراً وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفاً ؟!.**"[27]، والذي يقوم بأداء هذه الفريضة ينبغي أن تكون فيه صفات الصالحين، قال تعالى: **(والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضهمْ أولياءُ بعض يأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عنِ المنكرِ ويقيمونَ الصلاةَ ويؤتونَ الزكاةَ ويطيعونَ اللهَ ورسولهُ أولئكَ سيرحمهمُ اللهُ إنَّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ)** (التوبة: 71)، وهذه الفريضة لها ارتباط مباشر في مختلف ميادين الحرية، كحرية التعبير عن الرأي، والشورى، والحرية السياسية، حيث تعتبر من الأُسس والركائز المهمة ومن مقومات السلام، وهي من الضرورات في الإسلام للأسباب التالية:

1- إنَّها من صفات المؤمنين الذين يجعل الله لهم السلطة في الأرض، وهذا من شروط التمكين لهم، وإدارة الحكم، ومن خلالهما يتم السلام، قال تعالى: **(الذينَ إنْ مكنّاهمْ في الأرضِ أقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وأمروا بالمعروفِ ونهوا عنِ المنكرِ ولله عاقبةُ الأمورِ)** (الحج: 41)،

2- إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوة الناس الى الخير هما أمران متلازمان، وأن أي فرد لا يتمكَّن من أداء عمله إذا فقد حريته، فإذا فقدها فلا تكون هناك دعوة الى الخير، ولا أمر بالمعروف ولا نهي عن المنكر، في حين إنَّه سبحانه قال: **(يدعونَ الى الخيرِ ويأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عنِ المنكرِ)** (آل عمران: 104)، فستنهدم احدى ركائز الاسلام إذا تُرِكَت هذه الفريضة.

إنَّ ترك هذه الفريضة يؤدي الى تسلط الأشرار على العباد وعلى مقدرات الأمم، ويؤيد ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) " **لتأمُرنَّ بالمعروفِ ولتنهنَّ عنِ المنكرِ أو ليُستعملنَّ عليكمْ شِرارَكم فيدعو خياركم فلا يُستجابَ لكم**"[28]، فإذا ترك الأخيار وظيفتهم الشرعية، كان الأشرار هم الحاكمون، وسيعيثون الفساد في المجتمع[29].

فهذه نتيجة طبيعية لسيطرة القوى المنحرفة على السلطة، وهذا يحصل تحت ذرائع عديدة مثل وجوب طاعة الوالي، وتحريم نقض بيعة للحاكم، وحرمة شق وحدة الصف وغيرها من الذرائع، وقد بيّن الإمام الحسين (عليه السلام) ذلك بقوله: " **ألا ترون أنَّ الحقّ لا يُعمل به وأنَّ الباطل لا يُتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء الله**"[30]، لذا رأى ابن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه من الواجب عليه أن يحمل السيف، ويرفع راية الجهاد، ليعيد الحق الى مكانه الفعلي، بتطبيقه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد صرح بذلك الأمام في أكثر من مناسبة، كما في رسالته لأخيه محمد بن الحنفية، هذا كله لحفظ الكرامة الإنسانية من الضياع والهدر، بسبب الظلم والتعدي على الحقوق الإنسانية وانتشار الفوضى، والانتهاك الذي يحدث للحرمات، فهذا تأصيل لمبدأ الكرامة الانسانية بفعل وقول المعصوم (عليه السلام)، فيجب تفعيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل واسع، والتي من مضامينها أن يُحاسب الحكّام، وأن تُراقب أفعالهم ومنهم من الاستبداد والاستئثار بالثروات، ويجب تفعيل قاعدة الشورى والاستشارة مع المسلمين في الحكم[31]، فهذه الفريضة ليست فقهية وحسب بل هي من الأمور الاعتقادية، قال تعالى:

(كُنتُمْ خيرَ أمةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ تأمرونَ بالمعروفِ وتنهونَ عنِ المُنكَرِ وتؤمنونَ باللهِ) (آل عمران: 110)، ويمكن العمل بهذه الفريضة بشكل كبير بإقامة الشعائر الحسينية؛ لِأنّها المصداق الأبرز، والمظهر الأوضح، والغايات المطلوبة والمرجوة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أغلبها ينطوي تحتها، والتي منها الانكار المستمر والمتجدد لكلِّ انحرافٍ يظهر في المجتمع، وفعل كل معروف تُرك أو تم هجره من الحياة الإجتماعية الإسلامية على المستويين العقائدي والسلوكي، والمحافظة على عمله واستمراره وتطبيقه، وترك الأفعال المنكرة ونبذها، فهي تشعر الآخرين بحالة من صحوة الضمير الدينية، وتثير التوبة في نفوس الأفراد من خلال هذه الشعائر، فضلاً عن أنّ التذكير بهذه الفريضة والعمل بها من خلال إحياء الدافع النفسي والمحرك الذاتي لدى المؤمنين، وتحريكهم نحو أداء هذا الواجب، وأكثر محرك ودافع هو الذي فعله سيد الشهداء (عليه السلام)، الذي أيقظ البشرية من نومتهم وغفلتهم، وأحيا في نفوسهم مبادىء الحرية والعدل والهدى، وحرَّرَهم من الاستعباد والظلم والرذائل، ورباهم على رفض الخذلان والخضوع للظالمين، بإقامة فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهما بلغت الظروف والتضحيات[32]، وبتطبيق هذه الفريضة نجد أن العدل يسود والظلم ينحسر والأفعال السيئة تتلاشى والحسنات تزكو وتنتشر وبهذا تُحفظ الكرامة الإنسانيَّة وتكون هي الأساس في التعامل بين أبناء المجتمع مع بعضهم مع بعض. بينما نرى من جهة أخرى أن آيات الكتاب العزيز تؤكد أنَّ العوامل الاجتماعية لها تأثير في حياة الإنسان، ولهذا السبب نجده يحث الأفراد الى تطهير أبناء المجتمع بتطبيق هذه الفريضة، بينما في نفس الوقت نجده ينبه ويحذر من فتنة خطيرة في حال ترك هذه الواجب، قال تعالى: **(و أتّقوا فِتنةً لا تصيبنَّ الذينَ ظَلَمُوا منكمْ خاصَّةً...)** (الأنفال: 25)، كذلك نجد أنَّ الإمام الباقر (عليه السلام)، له كلام يُعَد من جواهر الكلام وأنفسه حيث قال: " **فأنكروا بقلوبكم، و ألفظوا بألسنتكم وصكّوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم... فجاهدوهم بأبدانكم، وأبغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً ولا باغين مالاً**"[33]، لذا نرى أن هناك حكمة عظيمة وهي أن الاعتقاد بهذا الواجب والعمل به في المجتمع له تأثير كبير في استقامة المجتمع ونشر الإصلاح، لذلك

عند المقارنة بين منهجين أحدهما يرى أن المجتمع يعيش حالة من عدم المبالاة وعدم الاهتمام بالذي يفعله الإنسان، سواء كان هذا الفعل حسناً أم سيئاً، ويرى أنَّ المجتمع لا حياة فيه، ولا شعور له، وبذلك لا يتفاعل بعمل أي شخص من عدل أو ظلم، أما المنهج الآخر فيرى أن المجتمع يملك شعوراً، وأي فعل يصدر من أي إنسان يكون تحت رقابة المجتمع، ويُقابل برَدِّ فعل يتناسب مع الفع سواء كان صالحاً أم طالحاً، ووفقاً لذلك فلا بدَّ أَنْ توجد جماعة تتصدَّى لهذا الفعل تدرك هذا المنهج وأبعاده وسبل تطبيقه[34]، وبذلك لا يمكن لأي شخص أن يتعدى على الآخرين، وتُحفظ الكرامة الإنسانية وهذه هي الغاية من جميع التشريعات.

مما تقدم يتبين لنا التالي:

1- إنَّ تطبيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يخلق في المجتمع جواً من حرية التعبير على جميع المستويات، سواء الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية، وهذا ما يجعل قيمة للإنسانية وعزة ومنعة بحيث لا يمكن انتهاكها أو النيل منها.

2- إنَّ تفعيل هذا الواجب، سيجلب الخير للمجتمع، ويدفع عنهم الشر؛ لِأنه سيكون كالعمل الرقابي على أفعال الإنسانية، وإذا شعر الإنسان بالرقابة فإنَّ أغلب أفعاله ستكون حسنة وخيرة على المستويين الفردي والإجتماعي، وهذا يعطي أهمية للبشرية ويجعلهم قيمة عليا تُعتمد كمبدأ في التشريع.

3- القيام بهذه الفريضة يزيد من الاحترام بين أفراد المجتمع، فيؤدي ذلك الى قلة النزاعات والخصومات، فيعيش المجتمع بسلام، وتزداد الأُلفة والمحبة، فتزداد كرامة الإنسانية فضلاً عن وجودها من الأساس.

4- إنَّ النهي عن المنكر يؤدي الى تقليل الانحراف مادياً ومعنوياً، فيقل الظلم أو ينحسر، ويسود العدل في أرجاء المعمورة، ويصبح كل فرد يتمتع بهذه الحقوق التي يمتلكها، ويعيش المجتمع عزيزاً.

5- استثمار موسم الشعائر الحسينية لتفعيل هذه الفريضة، واستذكار نهضة سيد الشهداء (عليه السلام) الذي كان أبرز وأفضل وأكمل مصداق لتطبيق هذه الفريضة، فضلاً عن كون المجتمع مستعد نفسياً وعاطفياً لتقبل هذا الأمر.

الخاتمة

ختاماً يظهر بوضوح أن مبدأ الكرامة الإنسانية يشكل محوراً أساسياً في الرؤية الإسلامية للإنسان والعبادة، إذ لا تُمارس العبادات بعدها طقوساً شكلية فحسب بل بوصفها وسائل تربوية أخلاقية ترسخ هذا المبدأ وتفعله في الواقع الإنساني، فالصلاة بما تحمله من معاني الخضوع لله وحده، تقيم في النفس روح العزة والحرية الداخلية، وتؤسس لمبدأ المساواة بين البشر، والصيام بدوره يُزكّي الإرادة ويهذب الغرائز وينشئ حسّ الرحمة والمسؤولية الاجتماعية تجاه الآخرين، بما يعمق كرامة الإنسان في بعده الأخلاقي والاجتماعي، أما الزكاة فهي تعبير عملي عن العدالة والتكافل، تُسهم في حماية كرامة الفقير وتخفيف أسباب الحاجة والمهانة، وتُذكر المجتمع بأن الإنسان قيمة قبل أن يكون أداة إنتاج، ويأتي الحج ليجسد أسمى صور وحدة البشرية وتساويها أمام الله، فيذيب الفوارق المصطنعة ويؤكد أن الكرامة شأن إنساني شامل لا تسقطه الحدود أو الاختلافات، بينما يمثل الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر إطاراً إصلاحياً يحمي المجتمع من الانحراف والظلم، ويضمن استمرار القيم التي تصون إنسانية الأفراد، وبذلك يتضح أن هذه العبادات مجتمعة تشكل منظومة متكاملة تسعى الى بناء الإنسان الكريم روحاً وسلوكاً وعلاقة بالمجتمع، وتجعل من الكرامة الإنسانية مقصداً شرعياً ثابتاً يعكس عمق الرؤية الإسلامية للإنسان وسمو مكانته في الحياة والتشريع.

الهوامش:

(1) ينظر: الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم (معاصر)، الأخلاق في القرآن، نشر، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ايان، قم، الطبعة الثالثة، 1428هـ.ق،ج1، ص 295.

(2) ينظر: الطوسي، الشيخ (460هـ)، التبيان في تفسير القرآن، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى، رمضان المبارك 1409هـ، ج 8، ص 212.

(3) (م / ن)، ج 5، ص 113.

(4) (م / ن)، ج 10، 543

(5) ينظر: زين العابدين (ع)، الإمام، شرح رسالة الحقوق، ص 336–337.

(6) خلف فم الصائم خلوفاً أي تغيرت رائحته.

(7) العاملي، الحر، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، نشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، الطبعة الثالثة، 1429هـ، ج 10، ص 397، مصدر سابق.

(8) ينظر: رضا، الشيخ محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ج 2، ص 147.

(9) ينظر: الرازي، فخر الدين (ت 606هـ)، تفسير الرازي، الطبعة الثالثة، ج 5، 76.

(10) ينظر: مغنية، محمد جواد (ت1400هـ)، الشيعة في الميزان، نشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان،الطبعة الرابعة، 1399هـ، 1979م، ص 410 – 411.

(11) الكليني، محمد بن يعقوب، كتاب الكافي، نشر دار الكتب الاسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، 1365هـ، ج 3، ص 333.

(12) المجلسي، العلامة، بحار الأنوار، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 2008م، ج 29، ص 223.

(13) الكليني، محمد بن يعقوب، كتاب الكافي، ج 3، ص 335– 336، مصدر سابق.

(14) ينظر: أنصاريان، شيخ حسين (معاصر)، رحلة في الآفاق والأعماق (شرح دعاء كميل)، تعريب: كمال السيد، نشر: انتشارات أنصاريان، قم، الطبعة الأولى، 1383هـ، ص 129 – 130.

(15) ينظر: الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم (معاصر)، نفحات الولاية، نشر: مدرسة الامام علي بن ابي طالب (ع)، قم، الطبعة دوم (الثانية)، 1426هـ. ق، ج 7، ص 327.

(16) كاشف الغطاء، الشيخ محمد حسين (ت)، الفردوس الأعلى، تعليق: السيد محمد علي القاضي

(17) ينظر: القرشي، الشيخ باقر شريف (ت 1433 هـ)، العمل وحقوق العامل في الإسلام، الطبعة الثانية، ص 256 – 259.

(18) ينظر: الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج 10، ص 378 – 380، مصدر سابق.

(19) الصدوق، الشيخ (ت 381هـ)، من لا يحضره الفقيه، نشر: مجموعة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، 1404هـ، ج 4، ص381.

(20) ينظر: الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج 10، ص 378 – 380، مصدر سابق.

(21) ينظر: الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، أجوبة المسائل الشرعية، نشر: مدرسة الإمام علي بن أب طالب (ع)، قم، الطبعة الأولى، 1385هـ. ش، 232 – 233.

(22) ينظر: الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج 10، ص324.

(23) ينظر: المدرسي، السيد محمد تقي، الحج ضيافة الله، نشر: دار محبي الحسين (ع)، طهران، الطبعة الأولى، 1419 هـ، ص33.

(24) المجلسي، العلامة، بحار الأنوار نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 2008م، ج 72، ص 104.

(25) ينظر: المدرسي، السيد محمد تقي، الحج ضيافة الله، نشر: دار محبي الحسين، طهران، الطبعة الاولى، 1419هـ، ص 78 – 79.

(26) الواجب الكفائي: وهو الذي يُطلب فيه إيجاد الفعل من أي مكلف، فهو واجب على الجميع ولكنه يسقط عنهم إذا أداه بعضهم، وإذا تركه الجميع أثموا جميعا.

(27) العاملي، الحر، وسائل الشيعة، ج 16، ص 122.

(28) الكليني: الشيخ محمد بن يعقوب، الكافي، ج 5، ص 56.

(29) ينظر: الشيرازي، السيد محمد الحسيني (ت 1422هـ)، الفقه، السلم والسلام، نشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426 هـ. ق، ص 114 – 115.

(30) الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1415هـ، 1995م، ج 5، ص 403.

(31) ينظر: السند، الشيخ محمد (معاصر)، الرأي الآخر في الوحدة والتقريب تحقيق: عبادى، علي حمود، نشر: باقيات، قم، ايران، الطبعة الأولى، 1429هـ. ق، ص 136.

(32) ينظر: السند، الشيخ محمد، الشعائر الحسينية (بين الأصالة والتجديد)، نشر: دار الغدير، قم، ايران، 2014 م، ص 208 – 209.

(33) الكليني، الشيخ، الكافي، ج 5، ص 56، مصدر سابق.

(34) ينظر: السبحاني، الشيخ، الفكر الخالد في بيان العقائد، نشر: مؤسسة امام صادق (ع)، قم، الطبعة الأولى، 1425ق، ج 2، ص 122 – 123.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1- الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم (معاصر)، الأخلاق في القرآن، نشر، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ايان،قم، الطبعة الثالثة، 1428هـ. ق.

2- الكليني، محمد بن يعقوب، كتاب الكافي.

3- المجلسي، العلامة، بحار الأنوار .

4- أنصاريان، شيخ حسين (معاصر)، رحلة في الآفاق والأعماق (شرح دعاء كميل)، تعريب: كمال السيد، نشر: انتشارات أنصاريان، قم، الطبعة الأولى، 1383هـ .

5- الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم (معاصر)، نفحات الولاية، نشر: مدرسة الامام علي بن ابي طالب (ع)، قم، الطبعة دوم (الثانية)، 1426هـ. ق.

6- كاشف الغطاء، الشيخ محمد حسين (ت)، الفردوس الأعلى، تعليق: السيد محمد علي القاضي الطباطبائي، تصحيح: السيد محمد حسين الطباطبائي، نشر: المؤلف، الطبعة الثانية، 1372هـ - 1953 م، تبريز – ايران.

7- القرشي، الشيخ باقر شريف (ت 1433 هـ)، العمل وحقوق العامل في الإسلام، الطبعة الثانية.

8- الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج.

9- الصدوق، الشيخ (ت 381هـ)، من لا يحضره الفقيه، نشر: مجموعة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، 1404هـ.

10- الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، أجوبة المسائل الشرعية، نشر: مدرسة الإمام علي بن أب طالب (ع)، قم، الطبعة الأولى، 1385هـ. ش.

11- الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.

12- الطوسي، الشيخ (460هـ)، التبيان في تفسير القرآن، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى، رمضان المبارك 1409هـ.

13- المدرسي، السيد محمد تقي، الحج ضيافة الله، نشر: دار محبي الحسين (ع)، طهران، الطبعة الأولى، 1419 هـ.

14- الشيرازي، السيد محمد الحسيني (ت 1422هـ)، الفقه، السلم والسلام، نشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426 هـ. ق.

15- الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الطبري.

16- السند، الشيخ محمد (معاصر)، الرأي الآخر في الوحدة والتقريب تحقيق: عبادى، علي حمود، نشر: باقيات، قم، ايران، الطبعة الأولى، 1429هـ. ق.

17- السند، الشيخ محمد، الشعائر الحسينية (بين الأصالة والتجديد)، نشر: دار الغدير، قم، ايران، 2014 م.

18- السبحاني، الشيخ، الفكر الخالد في بيان العقائد، نشر: مؤسسة امام صادق (ع)، قم، الطبعة الأولى، 1425 ق.

19- رضا، الشيخ محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار).

20- العراقي، آقا ضياء (ت 1361هـ)، بدائع الأفكار في الأصول، نشر: المطبعة العلمية، نجف اشرف، الطبعة الأولى، 1370 ق.

21- زين العابدين (ع)، الإمام (ت 94هـ)، شرح رسالة الحقوق، تحقيق وشرح: حسن السيد علي القبانجي، الطبعة الثانية، 1406 هـ.

22- العاملي، الحر، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة.

23- رضا، الشيخ محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار).

24- الرازي، فخر الدين (ت 606هـ)، تفسير الرازي، الطبعة الثالثة.

25- مغنية، محمد جواد (ت1400هـ)، الشيعة في الميزان، نشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان،الطبعة الرابعة، 1399هـ، 1979م.